12me Année No. 575

Lundi - 10 - 7 - 1944

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠



ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٨٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٥٧٥ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٩ رجب سنة ١٣٦٣ — الموافق ١٠ يولية سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

الفهـــرس

مسألة الجنسين

للأستاذ عباس محمود العقاد

فى مقالنا الماضى عرضنا لقرار الحكومة الروسية الذى أمرت فيه بفصل الصبيان والبنات فى بعض مراحل التعليم ، لأن الذكور والأناث يختلفون فى استعداد النمو ما بين العاشرة والسابعة عشرة ، فيبطئ تكوين الذكور ما بين العاشرة والرابعة عشرة ويسرع تكوين الأناث ، ثم يبطئ تكوين الأناث ما بين الرابعة عشرة والسابعة عشرة ويسرع تكوين الذكور .

وهذا مع اختلاف الإعداد المستقبل بعد انتهاء الدراسة . فالذكور يعدون للجندية والأناث يعددن للأمومة ، وكلتا الوظيفتين تدعو إلى تعليم خاص لا يشترك فيه الجنس الآخر ولا يفيده أو يفيد الأمة أن يشترك فيه

وقد قلنا فى التمهيد لذلك : « إن الفارق إذا وجد فى البنية لا يوجد فى زمن ويختفى بعد ذلك أو قبل ذلك فى أزمان . بل هو موجود فى دخائل البنية وأعماقها ، وإن تفاوتت درجات ظهوره بين حين وحين . »

وهذا الذى نريد أن نتوسع فيه بعض التوسع فى هذا المقال . لأن الاختلاف بين العاشرة والسابعة عشرة ما كان

ليظهر فى هذه السن لو لم يكن هناك اختلاف مستقر فى أجزاء البنية جميعاً من ساعة الميلاد بل من قبل ساعة الميلاد . فالبنية قبل العاشرة كانت مختلفة فى خلاياها ودقائقها ما فى ذلك أقل ريب ، ولولا ذلك لما نشأ الاختلاف فى الاستعداد حين نشأت دواعى ظهوره

كذلك يظل الاستعداد العقلى والجسدى مختلفاً بعد السابعة عشرة وإن توارى بعض التوارى فى بقية أدوار الحياة . لأنه لا يختلف عبثاً ومصادفة بل يختلف لغرض باق هو المقصود لا شك بالاختلاف فى مدى تلك السنوات

وهذه حقيقة يستطيع العلم أن يفسرها ولكنه لا يستطيع أن ينفيها ويمنعها بحال من الأحوال . لأن نفيها أو منعها من وراء سلطان العلم والعلماء

فالاختلاف بين الجنسين فى الطاقة والملكة موجود من زمن قديم ، ونتائج هذا الاختلاف فى الحياة العامة والحياة الخاصة موجودة كذلك منذ زمن قديم ، وغاية ما ينتظر من العلم أن يفسر لنا أسباب هذا الاختلاف أو يفسر لنا دلالاته ومعانيه ، ولكنه ينقض نفسه حين ينفى وجوده أو يعترف بوجوده ثم ينفى دلالته فى الماضى ووجهته فى المستقبل ، فليس للعلم ولا للعلماء هذا السلطان

على أن اختلاف الجنسين فى الطاقة والملكة سابق لاختلافهما فى نوع الإنسان . فلا مساواة فى الحيوانات العليا بين الذكور والأناث ، وليست حقوق الأناث مساوية لحقوق الذكور فى تلك الحيوانات ، إن صح التعبير هنا بكلمة الحقوق . ولم تشاهد قط جماعة من الحيوانات الاجتماعية تقودها أنثى أو تحتل منها محل الزعامة كما تفعل الذكور ، ولم نشاهد قط أنثى تستتبع لها طائفة من الذكور لتختار منها ما تشاء حين تشاء

والعلم لا يستطيع أن ينكر هذا ولا يستطيع أن يجرده من الدلالة ، ولا يستطيع بعد هذا وذاك أن يزعم أن الحيوان يحتاج إلى التنوع فى وظيفة الجنسين ولا يحتاج إليها الإنسان .

على أن العلم قد أخذ منذ سنوات قليلة فى كشف هذه الحقيقة من مكامنها الأولى التى تبين لنا أن الاختلاف فى القدرة الإنشائية كان من أبدأ البداوات بين خلايا التذكير وخلايا التأنيث ، ونحسب أن العلماء واصلون إلى فصل الخطاب فى هذا الباب بعد بضع سنوات ، فيبطل يومئذ محال الدعاة الذين يعمون أو يتعامون عن المحسوس لأنهم يسخرون حقائق الحياة لمذاهبهم العوجاء ، بدلاً من تسخيرهم هذه المذاهب لحقائق الحياة

وحسبنا أن نقرر هنا ما أثبته الباحثون فى « فزيولوجية الجنس » من تجارب الخلايا فى كلا الجنسين . فهذه التجارب تثبت أن عوامل الذكورة إنشائية ، وأن عوامل الأنوثة سلبية تابعة أو هى على وجه من الوجوه بمثابة اختفاء عوامل الذكورة . فالجزء الذى تستأصل منه خصيته يضمر ولا تنبعث فيه دواعى النماء ، ولا يحدث مثل هذا فى أنثاه إذا نزع منها المبيض ولو من أوائل الطفولة ، لأن نموها الأنثوى لا يحتاج إلى عامل مضاف من عوامل الإنشاء

ومع هذا لا نحسب أن الأمر يلجئنا إلى الميكرسكوب والخلايا لنعلم أن طبيعة الذكورة تقتضى الإرادة الإيجابية وأن طبيعة الأنوثة تقتضى المطاوعة والمتابعة وما يتزج بهما من الخلائق والنزعات

فالذكور فى جميع الحيوانات هى المجتهدة الطالبة والأناث فى جميع الحيوانات هى الملبية المطلوبة ، وإن اشترك الجنسان فى رغبة التناسل واستبقاء النوع

وقد خلق الذكور ، نفوساً وأجساماً ، بحيث يريدون تحقيق رغباتهم الجنسية ويستطيعون تحقيقها كرهاً إذا بدا لهم الإكراه ، ولم تخلق هذه المزية الأنثى فى نوع من الأنواع ، وليس إمكانها بمعقول

ولا عبث فى هذه التفرقة بين مزية الجنسين ، لأن الأنثى ليست بها ولا بالنوع حاجة إلى تسليط إرادتها بعد الحمل الذى يشغلها عدة شهور . فمن العبث أن تعطى الإرادة لتمطل وظائف الذكور فى خلال هذه الشهور ، ومن مصلحة النوع أن تكون مزية الإرادة والسيطرة للرجل ومزية الطاعة والتلبية للمرأة . وهكذا شاءت حكمة الخليقة سواء عندها من يشاء من اللاغطين ومن لا يشاءون

وكما قضت حكمة الخليقة بالإرادة والسيطرة للرجال قضت بفارق آخر بين الجنسين يجعل التدبير وبعد النظر خاصة للرجال لا يرزقها النساء

فكثيراً ما تلام المرأة ، لأنها أسيرة لميولها الحاضرة ، تندفع معها ولا تفكر فى عواقب الأمور ولا يفلح معها الإقناع ولا الوعيد فى تحويلها عن تلك الميول

ويفوت اللائمين أن نسيان العواقب ضرورة فزيولوجية لتحقيق فريضة النوع من جانب النساء : فلو كان من طبع المرأة أن تبالى بالعواقب وتوازن بينها وبين الميول الحاضرة لتعاظمت أمامها متاعب الحمل والولادة والحضانة وما فيها من أخطار قد تودى بالحياة ومن منغصات قد تبغض الإنسان فى أقدس الواجبات

فهذه ضرورات الخلقة التى لا كلام فيها لمعلم عالم ولا لتحليل محلل قد ميزت الرجل بالسيطرة والإرادة فى صميم الفارق بين الذكورة والأنوثة ، وقد جعلت وظيفة الرجل وظيفة لا يناقضها التدبير والنظر البعيد ، كما يناقضان وظيفة المرأة

وحكمة الخليقة هنا يؤيدها الشاهد المحسوس ، فإذا علمنا أن تكوين النساء لا يتيح لهن جملة أن يساوين الرجال فى مزايا الإرادة والعزيمة والتدبير والنظر البعيد ؟ فكل كلام عن تشابه الملكات بعد ذلك محض هراء

نعم تعرف للمرأة مزاياها التى لا يشابهها فيها الرجال ، وهى مزايا يفيد فيها التخصيص والتوزيع ، ولا مناص فيها كما قدمنا من التباين والافتراق فى مراحل التعليم وفى مراحل العمل والمعيشة ، وهذا الذى نعنيه ونخشى أن يغفل عنه المتعجلون والمغرورون فى انتحال المذاهب واتباع الدعوات

ونعيد هنا ما قدمناه فى مقالنا السابق حيث نقول : « إن المسألة التى نحن بصددها ليست مسألة تقدير للمنازل والمراتب فى ديوان من دواوين التشريفات ، ولكنها مسألة القيام بأعمال الرجال وأعمال النساء على الوجه الصالح لكل من الجنسين »

فلا يضير الناس أن يقال ما يقال عن تساوى الأقدار وتعادل المراتب بين النساء والرجال ما فهموا حقيقة الاختلاف بين استعداد هؤلاء وهؤلاء ، وما وكلوا لكل منهما عمله الذى يحسنه ولا يعطل فيه ملكاته التى توارثها من أول عهد التاريخ ، بل من أول عهد الأحياء بالاختلاف بين التذكير والتأنيث

وهذه مسألة تثار الآن كما تثار جميع المسائل فى أوقات الحروب والثورات . فإن كلمة حق وحقك وحقوقهم وحقوقنا هى أول ما يسمع فى الدنيا عند ما يتسع فيها ميدان النزاع والتنافس والمغالبة على حظوظ الحياة ، وقد سمعنا الكثير عن حقوق العمال وحقوق الجنود وحقوق الشيوخ والأطفال ، وسمعنا الكثير عن حقوق الضعفاء المحكومين وحقوق الأقوياء الحاكمين ، وسنسمع الكثير غير هذا حين تقترب ساعة الفصل بين جميع هذه الحقوق . فلا عجب أن تتردد بيننا وبين الأمم الأخرى كلمات الداعين والداعيات إلى حق المرأة فى كل شىء حتى ما ثبت للرجال كل الحق فيه

لا عجب فى ذلك ولا مدعاة فيه للتشاؤم والإنكار . إذ لا شك أن التنبه الخاطىء بغير فهم وسداد أنفع من الجمود الخاطىء بغير فهم وسداد ، وقد جمدت المرأة زمناً طويلا ؟ فلها اليوم أن تأخذ كفايتها من اليقظة كما أخذت كفايتها من الجمود ، ولها فى هذه اليقظة أن تخطىء ثم تخطىء حتى تصيب طائعة أو ترد إلى الصواب بحكم الحوادث التى تنفرد أبداً بالحكم الأخير

والذى نحن على يقين منه أن المرأة ستظفر بكل حق هى قادرة عليه ومحتاجة إليه ، أو هى به فى حدود الأنوثة التى أقيمت لها حدودها قبل المذاهب والقوانين ، وستبقى لها حدودها بعد المذاهب والقوانين

ستظفر المرأة بكل حق من هذه الحقوق ، ولكنها ستعدل بمشيئتها عن تلك المطالب التى لا تريدها لأنها قادرة عليها أو محتاجة إليها ، بل تريدها لأنها « زى جديد » كتلك الأزياء الجدد التى يشغف بها بنات حواء

وسيأتى اليوم الذى يصبح فيه هذا الزى الجديد قديماً ؟ فإذا هو منبوذ غير مطلوب ، وفوات المدة هو كل ما يلزم لمناقشة هذه الدعاوى وتفنيد تلك الآراء . إن صح أنها آراء

عباس محمود العقاد

محو الأمية في مصر

المشروع الجليل الذي تضطلع به وزارة الشئون الاجتماعية

للأستاذ دريني خشبة

ليس أخزى لأمة من الأمم أن تشيع فيها تلك الأمية الذميمة على الصورة التي تشيع بها في مصر. وبالنسبة العالية التي ترتفع إلى ٨٥ ٪ في بلادنا ... وأي خزي ألا يكون في مصر من الملمين بالقراءة والكتابة أكثر من مليونين وربع المليون وأن يكون بها من الأميين أكثر من اثنى عشر مليوناً وثلاثة أرباع المليون!

أي خزي أن تكون هذه حالنا بالرغم من الملايين العشرة من الجنيهات التي شرعنا ننفقها على التعليم سنوياً؟

وكيف أغمضنا عيوننا على هذه الحال كل تلك السنين الطوال، والمسألة تتعلق بكرامتنا وقوميتنا واستقلالنا وحياتنا وبكل ما هو عزيز علينا؟

وإذا عددنا أدواءنا الاجتماعية، فأي داء وبيل يكون أقسى على المجتمع المصري من تلك الأميه الذميمة المتفشية في طبقاته على هذا النحو، وبتلك النسبة العالية؟

وإذا عددنا أمراضنا المتوطنة، فأي مرض فتاك بنسبة تزيد على اثنين بالمئة أو سبعة بالألف من سكان مصر، كما تفتك تلك الأمية الوبيلة بثمانمائة وخمسين من كل ألف مصري عزيز؟

وماذا يصنع التيفود والتيفوس والملاريا والرمد والأنكلستوما والبلهرسيا أشد مما تصنعه تلك الأمية بإخواننا الساكين المصريين من فلاحين وعمال وصناع وتجار وجنود وشرطة؟

إن هذه الأوبئة التي ذكرنا، وغيرها مما لم نذكر، ليس مصدرها الميكروب كما يزعم الأطباء، وإنما مصدرها تلك الأمية التي تغشى عقول هذه النسبة العالية من إخواننا المصريين البائسين

إن الفلاح الذي يشرب من البركة الراكدة، والفلاحة التي تغتسل في تلك البركة، إنما يصنعان ذلك بعامل الأمية التي حالت قسوة الأمة ونومها الطويل الذي نامته دون إنقاذ غالبية الشعب من براثنها

وإن المرابي الذي يغتال أموال الفلاحين وغير الفلاحين من طبقات الشعب، إنما يغتالهم من طريق أميتهم التي رانت على أبصارهم، ونامت على عقولهم، وحجبت عنها النور بتلك الطبقة الكثيفة من السذاجة والغفلة والجهل المبين

إن اضطلاع وزارة الشئون الاجتماعية بمهمة محو تلك الأمية الذميمة هو أشرف الأعمال التي تضطلع بها وزارة من الوزارات بل هو أجل خدمة تؤديها للوطن، الوزارة التي أنشئت لخدمة المجتمع المصري، وانتشاله من تلك الوهدة التي تتردى فيها غالبيته المسكينة البائسة التي لا تنتفع من ملايين التعليم العشرة إلا بأزهد مقدار وأضأله، وبطرق بعيدة غير مباشرة

وإن مهمة محو الأمية في مصر لعمل تنوء به وزارة واحدة، ويجب لهذا أن يعد خدمة وطنية عامة تُعبَّأ له جهود الشعب كلها، بحيث يكون مرتكباً لجريمة الخيانة الوطنية الكبرى كل مصري يستطيع أن يساهم في هذا العمل ثم يحجم عن المساهمة، أو يتراخى في القيام بنصيبه فيه

إن هذه النسبة العالية من إخواننا وآبائنا وأمهاتنا وأخواتنا وأبنائنا المصريين، المحرومين من نعمة القراءة والكتابة، هم في الحقيقة محرومون من النور، بل من الحياة، بل من الكرامة الإنسانية. وإن من الأنانية التي ليست وراءها أنانية أن تنتفع نسبة ضئيلة من سكان البلاد بمائة مليون من الجنيهات أو تزيد كل عشر سنوات، دون أن تنتفع غالبية الشعب بشيء من هذه الملايين

فالمسألة جد إذن، ونحن منها إزاء خطر وطني يجب أن تتضافر الجهود على التغلب عليه — لقد أنشأنا وزارتي التموين والوقاية المدنية من الغارات الجوية لأسباب لو اجتمعت كلها ومعها عشرة أضعافها، لما بلغت أسباب هذه الأمية بعللها وآثامها وعقابيلها الوخيمة، لأنها أصل العلل، ولو أنصفنا هؤلاء الإثنى عشر مليوناً وثلاثة أرباع المليون من إخواننا المصريين الأميين التعساء لأنشأنا لهم وزارة لمكافحة تلك الأمية التي تنحط بهم إلى مراتب الحيوانات بين أسماعنا وأبصارنا، نحن إخوانهم المتعلمين الأنانيين!

فإذا نهضت وزارة الشئون الاجتماعية لهذا الأمر ، وجب ألا تضطلع به وحدها ، بل واجب على كل وزارة أن تماضدها فيه ، بل وجب على جميع المصريين ، أفراداً وجماعات ، أن يقدموا لها معونتهم الصادقة المثمرة ، بحسبان أن هذه المعونة خدمة وطنية عامة ، وفرض مقدس فى عنق كل مصرى أن يضطلع بنصيبه فيه

ولعل وزارة المعارف هى أولى الوزارات التى ستقدم لوزارة الشئون النصيب الأوفى من المعونة الصادقة ، وستقدمه شاكرة ذاكرة معترفة بالجميل ، لأن قيام وزارة الشئون بهذا الأمر دون وزارة المعارف فيه معنى من أنبل معانى التضامن الوزارى فى الحكم الصالح ، لأن أحداً لم يقل إن وزارة المعارف قادرة على كل شىء ، بل إن أحداً لم يقل إن أية وزارة من الوزارات قادرة على القيام بالعمل كله الذى أنشئت من أجله ، بل إن أية وزارة من الوزارات لعاجزة أتم العجز عن تحقيق الأغراض التى أنشئت من أجلها ما لم تعاونها فى ذلك معظم الوزارات ، بل كل الوزارات ... فإذا اعترض أحد بأن مكافحة الأمية هو أول الأعمال التى أنشئت من أجلها وزارة المعارف ، قيل له إن كل الأعمال التى أنشئت من أجلها وزارة الشئون الاجتماعية كان مفروضاً أن تقوم بها وزارة المعارف ، فلما أنشئت وزارة الشئون كان إنشاؤها إتماماً لوزارة المعارف ، وتركيزاً للأعمال والواجبات ، والخدمات العامة التى تنوء بها وزارة واحدة ، على أن نصيب وزارة المعارف من هذا المشروع الجليل سيكون أكبر الأنصبة كلها وأوفاها ، فهى التى ستقدم مدارسها كلها للتعليم الليلى ، وهى التى ستقدم مدرسيها فى جميع فروع التعليم ، الأولى منه والابتدائى والثانوى والخاص والعالى والجامعى ، لتعليم إخواننا المصريين البائسين مبادئ القراءة والكتابة والحساب ... وهى ستفعل هذا عالمة أن أساتذتها من التعليم الإلزامى إلى التعليم الجامعى ، لن يشق عليهم أن يتندبوا لهذه الخدمة الوطنية الكبرى ، لأنها دين مقدس فى أعناقهم للوطن المرزوء بتفشى الأمية فى طبقاته ، بل إن أستاذ الجامعة سوف يشعر وهو يقوم بتلك الخدمة الوطنية أنه لم يؤد لبلاده خدمة أجل منها من قبل . . . وها نحن أولاء نرى بين صفوف الجنود الخليقة بيننا أطباء ومهندسين وحاملى درجات جامعية رفيعة يعمل كل منهم برتبة جاويش بسيط ، أو عسكرى لا يحلى ذراعه غير شريط واحد ، وهو مع ذلك يشعر أنه يؤدى واجبه المقدس لبلاده أولاً ، وللمدنية المضرجة بالدماء ثانياً ، وهو مع ذلك يشعر أن قيمته قد ازدادت ، وأن ضميره قد استراح ، وأن درجته العلمية لم تنقص ...

ستفعل وزارة المعارف ذلك ، وستعبئ كل رجالها وكل جهودها فى هذه السبيل ، وستفعله شاكرة ذاكرة معترفة بالجميل لوزارة الشئون الاجتماعية ، وستحذو جميع الوزارات حذو وزارة المعارف فى مماضدة وزارة الشئون ، فتساعدها وزارة الصحة فى مكافحة الأمية الصحية بين طبقات الفلاحين والعمال والصناع والتجار ومن إليهم من سائر طبقات الشعب . . . وتساعدها فى مكافحة الأمية الصحية بين الأمهات والآباء بث أطبائها ومفتشيها فى القرى والمدن والمساجد والأسواق لتنظيم الاجتماعات للتنوير ، ولتبصير الآباء والأمهات بما لا بد من تبصيرهم به من معضلات الصحة والوقاية من الأمراض العامة ، وسيفعل الأطباء ذلك راضين متواضعين شاعرين أنهم يقومون بنصيبهم فى هذا الجهاد المشترك والخدمة الوطنية العامة الكبرى

وتساعدها وزارة الدفاع الوطنى بتعليم جنودها مبادئ القراءة والكتابة تعليما إجباريا تخصص له ساعات قليلة من ساعات العمل والتدريب العسكرى

وتساعدها وزارة الداخلية بمثل ما تساعدها به وزارة الدفاع ، فلا تقبل شرطياً أمياً بين شرطتها ، ولا خادماً أمياً ولا خفيراً أمياً بين خدمها وخفرائها ، وبذلك تضطرهم إلى تعلم مبادئ القراءة والكتابة اضطراراً وتحملهم عليه حملا . وكذلك سائر الوزارات

وتساعدها وزارة الأوقاف أكبر المساعدة بوضع مساجدها ودور أوقافها المعطلة تحت تصرفها . . . وبتعبئة الأئمة والخطباء والوعاظ ورجال الدين للقيام بنصيبهم فى التدريس ومكافحة أمية الخرافات والشعبذة ... وبهذه المناسبة نشير إلى ما ينبغى أن يساهم به الأزهر والأزهريون من نصيب موفور مشكور ، فهم أقرب إلى نفوس العامة ويتمتعون بينهم بالثقة والمحبة ، ومثل هذا يقال عن رجال الأديان الأخرى المحترمين

على هامش ذكرى المعرى

«داعى الدعاة» مناظر المعرى

للدكتور محمد كامل حسين

الآن يستعد العالم العربى للاحتفال بالعيد الألفى للفيلسوف الشاعر أبى العلاء المعرى ، فرأيت أن أميط اللثام عن شخصية معاصره ومناظره « المؤيد داعى الدعاة » بعد أن ظل مجهولا طوال هذه السنين ، بالرغم من أنه كان رجلاً له خطره وشأنه يرجف الناس باسمه فى القرن الخامس الهجرى ، خشى بأسه الخليفة العباسى ببغداد ، وأبوكاليجار البويهى وطغرلبك التركمانى ، وخشيه المعرى فى مناظراته ، هذا الرجل الذى وصفه المعرى بقوله : «لو ناظر أرسطاليس لجاز أن يفحمه ، وأفلاطون لنبذ حججه » . فمن الغريب حقاً أن تظل شخصية هذا الداعى غامضة مجهولة بالرغم من المحاولات العديدة التى قام بها جماعة من المستشرقين للبحث عنه ، ولو لم أعثر على نسخة خطية لسيرته كتبها بنفسه عن نفسه ما كنت أستطيع معرفة شىء عن هذا الداعية الداهية

عرف هـذا الداعى فى التاريخ بلقبه « المؤيد فى الدين » ، واسمه هبة الله بن موسى بن أبى عمران ، ويكنى بأبى نصر ، ولد بشيراز فى أواخر القرن الرابع من الهجرة ، وأرجح أنه ولد حوالى سنة تسعين وثلثمائة من أسرة تدين بمذهب الفاطميين ، وكان أبوه داعى دعاة هـذا المذهب فى فارس ، وقد عثرت على جزء من رسالة من أبيه إلى الحاكم بأمر الله الفاطمى يطلب فيها من الحاكم أن يعترف بالمؤيد داعى الدعاة بعده ، ولكن الحاكم أجابه بشىء من الجفاء والغلظة ، لأن أمر الدعوة لا يورث ، ومع ذلك استطاع هبة الله أن يصل إلى مرتبة أبيه ، وأن يصبح حجة جزيرة فارس ، (وهـذا بالاصطلاح الفاطمى ومعناه داعى دعاة إقليم فارس) . أما كيف ومتى وصل إلى هذه المرتبة فهذا مالم نوفق لمعرفته إلى الآن ، وكل الذى وصلنا أنه نجح فى اجتذاب عدد كبير من الناس لدعوته ، وأنه كان محبوباً عند جمهور أهل مذهبه حتى قالوا عنه لوزير أبى كاليجار البويهى سنة ٤٢٩ : « إنهم يتخذون هذا الرجل أباً لهم وأخاً وصاحباً ومحلاً لكل سر ومفزعاً فى كل خير وشر » .

نحن لا نعرف من أمر المؤيد قبل سنة ٤٢٩ شيئاً إلا أنه كان مضطهداً من جمهور أهل السنة لتمذهبه بمذهب الفاطميين ، وأن العلماء أغروا به السلطان البويهى ، ورموه هو ومذهبه بكل

وتساعدها وزارة الزراعة بمكافحة الأمية الزراعية بين طبقات الفلاحين ، ولا بد أن تصنع وزارة الزراعة ذلك جادة غير عابثة ، فالفلاح الذى لا يجيد زراعة غير محصولات ثلاثة ، وهو مع ذلك يجهل آفاتها ، هو فلاح أى جدير بالرثاء خليق بالتنوير . ولقد آن الأوان الذى يجب فيه التفكير فى مستقبل هذا الفلاح إذا ألغيت زراعة القطن تحت ضغط الحرير الصناعى وصوف اللبن .. وسيكون مستقبل هذا الفلاح المسكين أشد تعاسة إذا لم نكافح أميته الزراعية منذ الآن . وإذا لم نكافح هذه الأمية مكافحة فنية على أحدث أصول التربية الزراعية

هذا واجب الوزارات ... أما واجب الأفراد والجماعات فهو عندى أعلى وأسمى ... إننا محتاجون إلى بث الدعوة الواسعة المريضة لمكافحة الأمية بين طبقات هذا الشعب المسكين ، حتى يصبح وجوب مكافحتها عقيدة ، بل إيماناً ... وهذا يقتضى تضافر الجهود كلها ، وخاصة جهود الكتاب والخطباء والرؤساء والصحافة على نطاق واسع ... فالصحيفة أو المجلة التى تصدر دون أن تطرق هذا الموضوع تنسى مهمتها الأولى المقدسة ، وتؤثر الخوض فى السفساف على التمرس بالجد . . . والهيئة التى تستطيع أن تساهم فى هذا المشروع بنصيب موفور مشكور ، ثم تقصر فى المساهمة هى هيئة تفر من صفوف الجيش الوطنى فى ساعة الخطر . فهى جديرة بالازدراء بل بالعقاب

وفق الله وزارة الشئون الاجتماعية فى إنجاز أشرف الواجبات الوطنية لخدمة الجيل الجديد ... ووفقها الله فى تنظيم هـذا المشروع العظيم وتوقيته ووضع خطته وتدبير ماله ، إنه سميع مجيب .

دمينى خشبة

موبقة ، حتى أن السلطان أبا كاليجار ما كان يطيق سماع شىء عنه لشدة مقته له ، مع أنه لم يعرفه معرفة شخصية ، ولما ضاق السلطان ذرعاً بما كان يسمعه عن المؤيد أمر بإخراجه من شيراز فى رمضان سنة ٤٢٩ ، وأمهل المؤيد عدة أيام ليخرج فيها من المدينة ، على أن يظل فى داره لا ينتقل منها ولا يقابل فيها أحداً ، فكبر ذلك عند شيعته وأثاروا فتنة شعواء فى المدينة بين السنة والشيعة ، فاضطر الوزير إلى أن يسمح للمؤيد بعقد مجالسه ، وأن يفتح بابه لزائريه ، كما هدد علماء أهل السنة بالقتل والتشريد إن هم أثاروا مرة أخرى مسألة الخلافات المذهبية ؛ فركن الجميع إلى الخضوع على كره وبقيت حزازات النفوس كما هى

أما المؤيد فقد عمد إلى الدهاء والمكر حتى استطاع أن يقابل السلطان أبا كاليجار ، بل استطاع بقوة حجته وفصاحة منطقه أن يكسب عطفه وأن يحوز إعجابه ورضاه ، حتى أمره السلطان بأن يحضر المجلس السلطانى متى شاء كما سمح له بمناظرة مخالفى مذهبه ، وكانت هذه المناظرات إما كتابة يطلع عليها السلطان بنفسه أو كانت شفاهاً على مسمع من السلطان ، والمؤيد قوى الحجة بليغ فى مناظراته مجادل له خطره فكان يخرج من مناظراته منتصراً دائماً مما أبهر السلطان وازداد به إعجاباً حتى قال له يوماً : « إنى أسلمت نفسى ودينى إليك وإنى راض بجملة ما أنت عليه » وهكذا اعتنق السلطان أبو كاليجار البويهى مذهب الفاطميين ودخل دعوتهم على يد المؤيد ، ولكنه اعتنق هذا المذهب سراً فلم يجرؤ على الخطبة باسم الخليفة الفاطمى ، ولم يستطع أن يعلن بين الناس تحوله عن مذهبه واعتناقه مذهب التشيع ، إنما كان دخوله فى الدعوة الفاطمية أمراً أخفاه إلا عن أستاذه المؤيد الذى خصص للسلطان مساء كل خميس لتلقينه أصول المذهب وجرت هذه الدروس بأن تبدأ بقراءة ما تيسر من القرآن الكريم ، ثم بباب من كتاب « دعائم الإسلام » للقاضى أبى حنيفة النعمان بن حيون المغربى ، ثم يناقشه السلطان فى بعض ما أشكل عليه من أمر المذهب ، ثم يختم المؤيد دروسه بالحمد والدعاء للخليفة الفاطمى ، ثم للسلطان أبى كاليجار البويهى

على أن أمر هذه المجالس الليلية سرعان ما عرفه الناس ، وانتشر خبرها بين جمهور أهل السنة ولكنهم لم يستطيعوا أن يحركوا ساكناً ، وإن كان بعض المقربين إلى السلطان نصحوه بالابتعاد عن المؤيد ؛ والسلطان لا يزداد إلا تقرباً منه وتعلقاً به ، وكلما مرت الأيام ازداد السلطان حباً لأستاذه وإعجاباً به ، حتى قال الناس إن السلطان لا يقطع بأمر إلا بعد استشارة المؤيد ؛ واعتقد المؤيد نفسه أن السلطان أصبح طوع أمره وأنه لا يخالفه فى شىء فانتهز المؤيد هذه الفرصة وأخذ فى تهجين الشراب والخلاعة للسلطان فأغضب ذلك جماعة الندماء الذين حول السلطان فانضموا إلى أعداء المؤيد وأجمعوا أمرهم على الإيقاع به والعمل على إبعاده عن السلطان حتى لا يستأثر به من دونهم ، فأخذوا يحيكون الدسائس ويدبرون المؤامرات حتى نجحوا فى مكائدهم وأظهر السلطان موجدته على المؤيد فأمر بقطع المجالس الليلية ، وعدم السماح للمؤيد بدخول المجلس السلطانى .

فى هذا الوقت أى فى سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة تولى أبو منصور هبة الله الفسوى الوزارة لأبى كاليجار ، وكان هذا الوزير الجديد من أشد الناس بغضاً للمؤيد ، ومن أشد الناس نقمة على الشيعة عامة والمذهب الفاطمى خاصة ، فكسب أعداء المؤيد بهذا الوزير الجديد ركناً مكيناً يأوون إليه وعضداً قوياً يعتمدون عليه فى الإيقاع بالمؤيد ؛ فالتفوا جميعاً حول الوزير يتلقون منه ما يحيكون به الشراك للمؤيد حتى كانت قصة مسجد الأهواز التى استغلها هؤلاء الأعداء فى اقتلاع المؤيد من فارس بأسرها ، أما هذه القصة فتتلخص فى أن المؤيد سافر إلى الأهواز لزيارة شيعته ورجال دعوته ، وهناك احتوى على مسجد مهدم فأمر أتباعه بتجديد عمارته وكتب على محرابه اسم النبى الكريم (ص) وأسماء الأئمة الفاطميين من على بن أبى طالب حتى اسم المستنصر بالله وأمر دعاته بالأذان « بحى على خير العمل » ولم يكتف بذلك بل أقام الخطبة باسم المستنصر الفاطمى . فأثار عمله هذا ثائرة الناس بالأهواز وقامت ضجة بالمدينة من أنصاره المهللين وأعدائه المستنكرين والناس فى عجب من أمر هذا الرجل الذى استطاع أن يقيم دعوته ظاهرة مكشوفة فى بلد يدين بمذهب يخالف مذهبه حتى أن قاضى الأهواز اضطر إلى أن يرسل إلى الخليفة العباسى ببغداد ينعى الخلافة العباسية ، وينعى مذهب الجماعة والسنة وهول فى القضية إن ترك المؤيد طليقاً حراً ، ووجه

لوماً عنيفاً للسلطان أبي كاليجار لأنه احتضن هذا الرجل مدة من الزمان ، وفي ختام خطاب القاضي نصيحة للخليفة العباسي بأن يداهن أبا كاليجار حتى يسلمه المؤيد وإلا حلت الدعوة الفاطمية بالبلاد بدلاً من الخلافة العباسية

وهنا نرى مقدار ما وصلت إليه الخلافة العباسية من الضعف حتى لم يبق للخليفة العباسي إلا الخطبة باسمه على المنابر ، أما السلطة الحقيقية فكانت في أيدي البويهيين والوزراء إذ لم يستطع الخليفة العباسي القائم بأمر الله أن يفعل شيئاً عند ما بلغته قضية مسجد الأهواز إلا أن يرسل رسولاً من قبله إلى أبي كاليجار ومعه بعض الهدايا والخلع نظير السماح للرسول في القبض على المؤيد ، فاشتد بذلك ساعد أعداء المؤيد وأشاعوا في البلاد أن الخليفة أهدر دمه وانتهزوا فرصة وجود رسول الخليفة في شيراز وأقاموا مظاهرات صاخبة في أيام ركوب السلطان يلهجون بمدح السلطان الذي نقم على المؤيد ويرمون المؤيد ومذهبه بكل نقيصة حتى أحرج السلطان نفسه ولم يدر ماذا يصنع بعد فرط حبه وإعجابه بالمؤيد ، وأخيراً أمر المؤيد بأن لا يخرج من داره

أما رسول الخليفة ؛ فكان يخشى المؤيد ويتجنب التعرض لذكره خوفاً من الشيعة ، وخاصة من الديلم الذين دخلوا الدعوة الفاطمية ، فلم يستطع إلا أن يكتب للمؤيد يحذره من الاندفاع في عصيانه وخروجه عن الستر إلى الجهر ، وأخذ يحبب إليه ترك المذهب الفاطمي والدخول في سلك الجماعة ويمنيه الأماني الطيبة من مراكز سامية في الدولة وأموال تتدفق عليه ؛ فكان رد المؤيد على ذلك بأنه لن يترك ما هو عليه ، وأنه سيمضي في دعوته جهراً ولو أدى ذلك لموته لاعتقاده أنه على الحق وأن غيره على الباطل ، فلم يسع رسول الخليفة إلا الرجوع إلى بغداد ، أما السلطان فخرج إلى الصيد وبقي المؤيد بين أعداء ألداء فخشي على نفسه بغتة من بغتاتهم فرأى أن يخرج لزيارة شيعته ولكنه خشي أن يغتال في الطريق ولا سيما بعد شاع في الناس أن الخليفة أهدر دمه ولذلك خرج خفية ، وكان في طريقه يلتمس الطرق الموحشة ولا يطرق الأماكن الآهلة ، ومع ذلك كان يسمع من حين لآخر أن السلطان فعل به كيت وكيت ، أو أنه قتل وقطع إرباً إرباً ، وأن بغلته مزقت إلى غير ذلك من هذه الأقاويل التي كان يروجها الناس عنه وما بالك بمن يسمع بنفسه عن نفسه مثل هذه الأقاويل !

وانتهى به الطواف إلى الأهواز مرة أخرى وهناك قابل أنصاره فدهش الناس من وجوده بينهم ، وعلم السلطان بوجوده في الأهواز ، فأقسم لينتقمن منه لمخالفته أمره بالبقاء في داره ، ولأن جماعة الندماء أدخلوا في روع السلطان أن المؤيد فر إلى الأهواز لينظم ثورة ليقلع السلطان عن عرشه ، وكان للمؤيد عيون في مجلس السلطان أبلغوه نقمة السلطان وغضبه وألحوا عليه في الخروج من الأهواز ، لأن السلطان في طريقه إليها ؛ فخرج المؤيد إلى حلة منصور في ضيافة أميرها الحسين ابن منصور الذي استمع لقصة المؤيد فوعده الأمير بالتوسط لدى أبي كاليجار لتعود المياه إلى مجاريها الأولى ، وبالفعل قام هذا الأمير ليصلح بين السلطان والمؤيد وكادت تنجح مساعيه لولا أن توفي أبو طاهر البويهي ملك بغداد ، وطمع أبي كاليجار في ملك بغداد ، وذلك لا يتأتى إلا برضاء الخليفة العباسي ، وهذا ناقم على المؤيد وناقم على أبي كاليجار بسبب المؤيد ، فلم ير أبو كاليجار إلا أن يصانع بدوره الخليفة العباسي ووزراءه ، وأن يضحي بالمؤيد في سبيل الوصول إلى ملك بغداد ، وجرت مكاتبات عديدة بين السلطان والمؤيد وبين السلطان والأمير الحسين ابن منصور وأخيراً رجحت كفة الهوى على كفة العقل وأصبح محالاً أمر التوفيق بين مطامع السلطان وعودة المؤيد إلى داره ، فاضطر المؤيد إلى أن يغادر حلة منصور وإلى أن يرحل إلى قرواش بن المقلد وهو أمير العرب إذ ذاك . ولكن قرواش كان يتلاعب بالخلفاء ، ينضم إلى العباسيين إذا أغدقوا عليه نعمهم وعطاياهم ويستجيب للفاطميين طمعاً في خلعهم وألقابهم ، ويصانعه البويهيون خوفاً من سطوته وقوته ، فلما وجده المؤيد على هذا الحال تركه واتجه إلى مصر حيث إمامه الفاطمي ومقر الدعوة الفاطمية .

(يتبع)

الدكتور
محمد كامل حسين
بكلية الآداب بالقاهرة

الأحـــلام

للأستاذ عبد العزيز جادو

الأحلام — كما درسها بعض العلماء — تبين اشتغال الشعور الباطن ، وتقيم الدليل على تلك المشكلة التي طالما حير الإنسان فهمها . والحلم حالة نفسية يشتمل على ما نراه في نومنا من صور وتمثلات غريبة في الترتيب عجيبة في الظهور . وهـذه لا تتكون دائماً من الأشياء والشئون المعلومة لدينا في اليقظة ، بل قد تكون أشياء وأموراً نجهلها تماماً . وللأحلام معنى مهم يتعلق بتوازن حياتنا اليقظة Waking life وليس اللاشعور مجرد نظرية ، ولكنه جزء من الطبيعة البشرية التي يمكن أن تظهر بواسطة الأحلام . فلكي نفهم الحلم علينا أن ندرك معنى اللاشعور . الشعور هو جزء صغير فقط من شخصيتنا . أما اللاشعور — الذي يتألف غالباً من التأثيرات ، والنزعات الموروثة والمكتسبة ، والرغبات الجنسية المكبوحة — فيكوّن الجزء الأكبر من الذات الحقيقية Real self

فإذا كانت هذه الحياة اللاشعورية غير منسجمة مع الذات الشعورية فإنهـا ستستولى علينا بالتدريج وتتلف فهمنا للحياة . هذا من حيث إمكان مساعدة الأحلام لنا

إننا جميعاً نرغب في أكثر مما نملك . ولما كان الطموح هو ينبوع الحياة ، فإن النزعات المكبوتة يمكن أن تقلب حياتنا المنتعشة إلى حياة خاملة . فالأحلام تمهد السبيل للتهرب من الحقيقة ، وفي الأحلام يقوم الناس بما قد يكون مستبهماً عليهم في عالم الحقيقة

كثير من الأحلام يأخذ صورة إرضاء الرغبة Wish-fulfilment والرغبة يمكن أن تميّز بسهولة ؛ ولكن هناك كثيراً من الرغبات الغامضة . وهـذه الرغبة الغامضة هي التي تسبب معظم القلق . وفي اللاشعور يكتمن الكثير من الرغبات الغريزية التي لا يمكن أن تكون مرضية في الحياة العادية من غير ما تناقض مع الدستور الاجتماعي للفرد ، واحترامه الذاتي

وهكذا نرى أن الميول التي نرضيها ونشبعها أثناء النهار لا تحتاج إلى إرضاء في الأحلام

والأحلام ربما تكون في الأصل جنسية ، سواء أكانت الذكرى من الطفولة المبكرة أم من الكبت الحالي ؛ أو ربما تكون متعلقة بذوي القربى في صورة رغبة لاشعورية لموتهم أو لبعدهم ؛ أو ربما تكون أيضاً شهوة للقوة . هذه الأمثلة غالباً ما تكبح ولا يسمح بظهورها ، لأنها متناقضة مع الحياة اليومية ، الحياة الواعية الشعورية ، ولأن الرقيب Censor من جهة أخرى يمنعها من الظهور بضغطه عليها . ولكنها قادرة على إظهار نفسها أثناء النوم عندما تتعطل الحواس وتنقطع عن العمل ، وتكون الرقابة الأخلاقية على العقل الواعي مسترخية Relaxed . عندئذ يدأب اللاشعور في عمله فينسج لنا حياة أخرى يعيش المرء فيها غاطاً في إحساساته وتصوراته وانفعالاته وآماله المكبوتة التي لم يتمكن من تحقيقها ، فتتجسم إذ ذاك تلك الإحساسات والتصورات ، وتتوالد وتظهر منها سلسلة وقائع قد تكون من الغرابة بمكان . إلا أن هذى الرغبات لا تجرؤ على الظهور بمظاهرها الحقيقية حتى ولا في الأحلام ، بل تتستر وراء أشكال ورموز ظاهرها برئ

وهذا هو السبب في أن أكثر الأحلام مزاج Jumble من الماضي والحاضر ، ومجموعة مختلفة من الناس ؛ وهذه التمثلات تتلون غالباً بصور معاني ما اختزنه الإنسان في عقله الباطن في حالة صحوه ويقظته . كما أن الأفكار والرغبات وآثار الأعمال ، وما يُلقّن عن الغير من صنوف الإيحاء قد تكون مادة الأحلام وأشكالها

ومن هنا تنشأ الفكرة بأن الأحلام ما هي إلا صحيفة أخرى من صفحات حياتنا الكثيرة ، ومظهر آخر من مظاهر فعالية النفس

اتجاه الأدب العربي

بعد الحرب القائمة

للأستاذ منصور جاب الله

قيل إن أبا بكر الخوارزمى وقف بباب الوزير الصاحب بن عباد فقال له الآذن : إن سيدى قد ألزم نفسه ألا يلج بابه إلا من كان يحفظ عشرين ألف بيت من شعر العرب ، فأجاب الخوارزمى على الفور : هذا القدر من شعر الرجال أو من شعر النساء ؟ ... وإذ علم الصاحب بجواب الخوارزمى قال : دعه فإنه الخوارزمى !

إنما كان ذلك رأياً قديماً فى الأدب العربى ، إذ كان القدامى يعدون الأديب أديباً بكثرة حفظه ، على حين أن كثرة الحفظ لا تجعل من الإنسان أديباً وإنما تخلق منه « راوية » . وليس أدل على ذلك من أن الخوارزمى الذى صدرنا بحكايته هذا الفصل قد هزم هزيمة نكراء حيال بديع الزمان الهمذانى ، وهو الشاب الحدث ، هزيمة اختصرت حياته فخانه العمر ولم يأت عليه إلا ما دون العام حتى كان فى عداد الثاوين

الحق أن معنى كلمة « الأدب » قد لاقى تحولاً كبيراً فى سائر اللغات ، ومع أننا ما برحنا ننظر إلى معنى كلمة الأدب نظرة رجعية ، لا نستطيع أن نغفل التحول الكبير الذى طرأ على الأدب العربى بعد الحرب العالمية الماضية ، فقد كانت لأدبنا مظاهر نحب أن نناقشها ونفحصها حتى تكون على ضياء البحوث النضيجة عناصر الأدب الجديد بعد انقضاء الحرب الناشبة وعودة الأمور إلى مجاريها

لقد كان من مظاهر الأدب العربى فيما بعد الحرب الماضية أن اتجه الأدباء إلى الترجمة والنقل عن اللغات الأجنبية ، حتى عدّ عدم التمكن من إحدى اللغات نقصاً لا يغتفر فى الأديب ، ورأى الكثيرون أن اللغة العربية وحدها لا تكفى فى تكوين الأديب العربى . وكان من جراء ذلك أن ذهب الأدباء مذاهب عدة ، فكانت هناك النزعة « اللاتينية » والنزعة « السكسونية » ولكل من النزعتين أنصار وخصوم ، حتى لقد بصرنا بأدباء يكتبون بالعربية على حين أن أحدهم لا يطالع كتاباً عربياً مهما تكن قيمته العلمية ، ومن ثم لم يكن « أدب ما بعد الحرب » أدباً إنشائياً ذا نزعة استقلالية ، وإنما كان عالة على سواه من الآداب الغربية ، حتى لقد صدق كاتب محدث بوصفه الأدب عندنا بأنه (مستعمرة !) فالنقل عندنا هو كل شىء ؛ فإذا شئنا التحرر من ربقة النقل الصريح فزعنا إلى « الاقتباس » والمحاكاة ، ومن

ويهمنا هنا أن نعرف أن الحلم — إذا حاولنا استعادته عند استيقاظنا من النوم — كثيراً ما يمّحى منه أثر أشياء كبيرة الأهمية ، ويحل محلها عند اليقظة عمل آخر للرقيب ، بواسطته يُنسى الجزء المكبوت من الحلم

وإذا ترسّم الحالم ارتباط عدة أحلام فلا ريب فى أنه سيجد أنها جميعاً تتجه إلى نقطة واحدة فى حياته ، هى مركز الكبت ، نقطة البداية لحلمه الحالى

هذى هى الأحلام التى تتعلق باللاشعور ، والتى تمدنا بالدليل على تناقضنا . إلا أن هناك عناصر معروفة تنشأ عنها الأحلام العادية هى :

١ — التأثيرات التى تأتينا من الداخل كامتلاء المعدة ، وسوء الهضم ، أو عدم انتظام الدورة الدموية وارتباك المخ . وهذه كلها أو بعضها يسبب فى الغالب أحلاماً مزعجة نسميها بالكابوس

٢ — الذكريات المحفوظة فى أعماق اللاشعور . بيد أن هذه الذكريات تتولد منها أفكار أخرى تناسبها فيتوسع النطاق فيبنى صروح أحلام شامخة

٣ — التهييج والانفعال النفسى الذى ينعكس إلى مراكز الدماغ فيجعله فى حالة عمل متواصل ، ويحصل العمل غالباً فى تداعى الأفكار ، وهى توضح لنا سبب تنوع الأحلام واختلاف مناظرها وحادثاتها

ومن تلك العناصر نرى أن أكثر الأحلام مصدرها الحادثات اليومية الواقعة فى حياتنا . وقد تتركب هذه الحادثات فتنشأ منها قصة أو واقعة غريبة

وللأحلام نوع آخر لا يقل رتبة عن الإلهام ندع الكلام فيه لمقال تال .

عبد العزيز جادو

هنا كان الكاتب ينقل القصة — مثلاً — عن كاتب غربي ثم يحور أسماء الأشخاص والأماكن ، ويغير طابع الرواية ببعض التغيير ، ثم يخرجها إلى الناس قصة مصرية !

وحالنا في هذا تحاكي الحال التي آل إليها الأدب في العصر العباسي حين كان الكتاب لا يقرأ إلا إذا نص عليه بأنه منقول عن الفارسية ، وقيل في هذا الشأن إن عبد الله بن المقفع وضع كتاب « كليلة ودمنة » وضعاً ، ثم نحله إلى الهند وفارس ليقرأه الناس ويجدوا فيه متاعاً !

ولما كان الشيء بالشيء يذكر ؛ فإن كاتب هذه السطور يذكر أنه كان محرراً بإحدى الصحف اليومية المصرية ، وكان صاحب الصحيفة من المولعين بالترجمة ؛ فكان لا يسيغ مقالاً من إنشاء المحرر ، ولو ضرب به المثل في البلاغة ونصاعة البيان ، بيد أنه كان يتطاير طرباً كلما بصر بمقال مترجم عن كاتب أوربي مهما تكن قيمته ! ومن هنا كان كل محرر منا يبذل الجهد الجهيد في كتابة مقال ، فإذا شاء أن يحظى بتقدير صاحب الجريدة نسبه إلى التيمس أو الطان — مثلاً — رحمه الله وغفر لنا وله !

هذا مثال لسنا مفرقين فيه علم الله ، يدل على مقدار ما بلغه الأدب عندنا من التدهور ... وعلى ذلك يقتضينا الأمر أن نفك الأغلال التي ناء بها أدبنا حتى يكون أدب ما بعد الحرب الراهنة أحسن حالاً من أدب ما بعد الحرب الماضية

نريد أن يكون أدب ما بعد الحروب أدباً ذاتياً مستقلاً يصدر عن أحاسيس ذاتية وخوالج نفسية صحيحة ، وليس معنى ذلك أن نخنق « الترجمة » ونقضي على المنقول من اللغات الأخرى ، وإنما نريد أن نتخير من كل حسن أحسنه ، ثم يكون النتاج أخيراً أدباً عربياً خالصاً فلا يضطرب المزاج ولا يطغى عنصر على عنصر . ولا نريد أن نسهب في هذه النقطة فسنفرد لها بحثاً خاصاً إن شاء الله

ولقد عابوا على الأدب العربي خلوه من القصص ، على حين أنه يفهق بالقصص ، وإنا لنكتب هذه الكلمة وبين أيدينا كتاب « مجمع الأمثال للميداني » ، وهو كتاب لو نسق على الطريقة الحديثة لكان من أروع كتب القصص في سائر اللغات . وحتى لو سلمنا جدلاً بخلو الأدب العربي من القصص ، فإن ذلك إنما يكون طبيعة مزاجية فيه ، لا نقصاً يحسب عليه ، على أن العرب ليس لهم أن يشكوا خلو أدبهم من القصص بعد الحرب الحاضرة ، فقد خاضوا غمراتها واشتركوا في ملاحمها ، ولا مشاحة في أن هذا الصراع العالمي يخلق فيهم روح « القصة » ، إذ كانت الحرب السالفة مادة لا يستهان بها في القصص الغربي

ولقد استطاع كتاب قلائل من المحدثين أن يخلقوا القصة « المصرية » ، ولكنه بقي علينا أن نكتب القصة « العربية » ، وهذا ما نحاول العمل في سبيله الآن

ولقد كان الأدب العربي فيما بعد الحرب الماضية إقليمياً أو محلياً إلى حد بعيد ، فضعفت الصلة بين الأدباء المصريين والسوريين والعراقيين وغيرهم ، فالكاتب المصري قل أن يعقد صلة أدبية مع كاتب آخر في سوريا أو العراق مثلاً ، والصحف المصرية لا تنشر في الغالب سوى مقالات الكتاب المصريين أو مقالات الكتاب الغربيين المترجمة ، ولذا لا نحسب قارىء الصحف العادي يعرف أحداً من كبار الكتاب العرب خارج مصر ، ونحن المصريين لا نخلي أنفسنا من تبعة هذا القصور ، ولا نحاول دفع التهمة إلا بإزالة أسبابها

وهنا يؤدي بنا الكلام إلى التعريج على (الفكرة الإسلامية) و « الفكرة العربية » وأيهما أولى بالتفضيل . ونحن هنا في مصر نمزج الفكرتين ولا نجد فرقاً بينهما . أما في البلاد العربية الأخرى فيأخذون على المصريين تمسكهم بهذا المزج . ويرون في ذلك ضرباً من التعصب الديني . ولا نحسب الأمر على هذا التصور يصيب الحقيقة المجردة . ذلك لأن الفكرة (الإسلامية) أعم من الفكرة (العربية) ، فكان من الطبيعي أن تطوى أولاها أخراها وتحتويها ، ولقد سفه الإسلام النعرة العنصرية والجنسية

وهنا نقول أيضاً إن الشقة بعدت بين الكتاب المصريين وزملائهم العرب بسبب النزعتين (الفرعونية) و (العربية) ثم « الشرقية » و « الإسلامية » ، وقد ذهب أحد الزعماء المصريين إلى لبنان مصطافاً قبل بضعة عشر عاماً وأقيم له حفل خطب فيه زعيم لبناني معروف فقال « نريد أن تكونوا معنا

٧ - القــــرآن الـكريم
فى كتاب النثر الفنى

« وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله ،
ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون »
[قرآن كريم]

للأستاذ محمد أحمد الغمراوى

طلع زكى مبارك بعقابيه كما يطلع الشيطان بقرنيه . لا يستجيب إلى خير ، ولا يبصر هدى ، ولا يدعو إلى رشد ، ولا يأتى إلا بإثم أو إفك أو ضلال

وبضاعة زكى مبارك كلام يلقيه لا يدرى أعليه يكون أم له ، بل يلقيه بظن أنه له فإذا هو عليه ، وهـذا من خذلان الله له ، ومن يحارب الله مخذول .

إن كان أحد عدو نفسه فذلك زكى مبارك . يبلغ منها بجهله وغروره ما لا يبلغ الخصم بعقله . يريد أن يخفى معايبها فيدل عليها ، ويريد أن يدرأ عنها فيبدى عن مقاتلها

لقد كتب يدافع عن نفسه فأمكن منها فى كل موقف من مواقف الدفاع :

أمكن منها حين صاح مرتين يستغيث بالدكتور طه حسين ، وما ذا يملك له الدكتور طه وهو يجمع على نفسه من الاعترافات ما يوبق أقله ويهلك

وأمكن منها حين اعترف متطوعاً مختاراً بأن فى كتابه آراء فى إعجاز القرآن أخطر من الآراء التى رويناها له . وهو يعلم أى آراء روينا ، ويعلم أن ما كشفناه للناس من آرائه قد هدمه وهده ، ولا زال يمضه ويقض منه المضاجع . فأى نفع له فى أن يقول إن هناك فى كتابه ما هو شر وأخطر ، اللهم إلا أن يكون أراد أن ينسب غيره إلى الغباوة ، فنسب نفسه إلى الغباوة والحمق معاً . فإن الغبى الأحمق هو وحده الذى يريد أن يدفع عن نفسه فيعترف عليها اعترافاً كهذا فيه كل التأييد لما قال الخصم ، وفيه بعد ذلك مزيد

وأمكن من نفسه حين أكد هذا الاعتراف بقوله إنه لو شاء لدل الخصم على تلك الآراء التى هى شر وأخطر ! ونحن نعرف من كتابه كل ما يخاف كما قد أنذرناه ، ومع ذلك فما الحاجة إلى تلك الآراء وقد دمغته أخواتها دمغة سيعرف بها ما عاش ؟ ألا يكفيه من الوسم ما بلغ العظم ؟ ألا يكفيه من الغل ما أحاط بالعنق ؟ أم هو يريد غلاً يأخذ منه بالمخانق حتى يكتم منه الأنفاس ؟ لينتظر فسيرى أنا نعرف منه ومما كتب ما لا يخطر له ببال .

وأمكن من نفسه حين زعم لنفسه الشجاعة والصراحة ونفاها عن غيره . وأى صراحة يدعى أو أى صراحة يبغى بعد الذى كان ؟ لقـد صارحناه رأينا فيه ، وأنصفناه إذ لم نقتصر على الادعاء كما يفعل هو مع الناس ، بل جئنا على الدعوى بالدليل

عرباً لا شرقيين ولا فراعنة » والحق أن المصريين لا يستطيعون أن يجردوا أنفسهم من ميراثهم الفرعونى القديم ، ولـكن هذا لا يحملهم على الازورار عن القافلة العربية والتخلف عن الركب الإسلامى العظيم ، ولا نستطيع أن نفرق بين النزعتين العربيـة والإسلامية ، فقد كان الإسلام على فطرته وبساطته يوم كانت الأمبراطورية الإسلامية عربية خالصة ، ولم تدخل المذاهب الملية المعقدة إلا حين دالت دولة العرب وخرج الأمر من أيديهم ، وكان العرب كذلك أعرف الناس بالتسامح الدينى لأن القرآن الـكريم نزل بلسان عربى مبين ، فلما آل الأمر إلى الأعاجم جهلوا معنى التسامح فـكانت الحروب الصليبية الناشئة

فإذا صحح الـكتاب المصريون نظرتهم إلى « الفرعونية » تحتم على الـكتاب العرب فى الأقطار الأخرى أن يصححوا نظرتهم إلى الفـكرة (الإسلامية العربية) على اعتبار أنها وحدة لا تتجزأ

بقى بعد ذلك أن يعالج الأدب مسائل الإصلاح الاجتماعى علاج الباحث المحقق ، فـكاننا ما برح فى مثل هذه المسائل كحاطب ليل ، على حين أنها من صميم الأدب الحديث

ولعل اتجاه الأدب العربى بعد الحرب القائمة يكون منصرفاً إلى الدعوة إلى زيادة الإنتاج القومى والأخذ بأسس الاقتصاد الصحيح . وهـذه كلها نقاط مجملة نرجو أن تسمح لنا الظروف بعلاجها فى شىء من التفصيل .

(الرمل) منصور جاب الله

لمكنه من إبطال الدليل إن استطاع . واجهناه وجابهناه بالتهمة ودليلها وهو حى يرزق يستطيع أن يدفع عن نفسه : بالحق إن كان لديه ، أو بالباطل كما يفعل الآن . ألا يقارن هـذا بما فعل هو مع الشيخ مصطفى القاياتى رحمه الله ؟ زعم فى بعض ما كتب ما لم يكن ليجرؤ على زعمه لو كان الشيخ القاياتى حياً ، وما ليس يصدقه فيه أحد ، من أنه كان — أى زكى مبارك — وهو تلميذ يحضر لمصطفى القاياتى محاضراته وهو أستاذ ! ثم لا يستحيى زكى مبارك بعد هـــذا أن يحشر نفسه فى عداد الصرحاء الأشراف !

هكذا أمكن زكى مبارك من نفسه ، كما أمكن منها حين سمى ظهورى عليه بالحجة طغياناً ، وحين علل هذا الطغيان بعلمى أن الرقابة تمنع نشر المجادلة الدينية ! أما إنه الحق يطغى على الباطل ولؤمه ، لا الحق يمنع من ظهوره الرقيب . ومع ذلك فما حاجة زكى مبارك إلى المجادلة مطلقاً إن كان رأيه فى القرآن وإعجازه رأى المسلمين من لدن عصر النبى الكريم إلى اليوم ؟ ما حاجته إلى المجادلة الدينية التى يمنع منها الرقيب ، إن كان يمكنه التوفيق بين النصوص التى أوردناها عليه من كلامه وبين عقيدة المسلمين فى القرآن ؟ إن أحداً لا يعرف أن الرقابة تمنعه من تأويل كلامه إلى ما يطابق عقيدة المسلمين ويوافق إجماع علمائهم . أما الجدل الذى يراد به تبرير إنكار إعجاز القرآن أو إثبات أن القرآن من كلام البشر فنعم منع الرقابة منه ، ونعم عقاب القانون عليه . فهل هـذا هو الجدل الذى كان يريد زكى مبارك والذى لا يجد إليه السبيل ؟ إذن فقد أراد أن يعتذر عن نفسه فاعترف عليها حين أراد أن يحتمى هذا الاحتماء بالرقيب

ومع ذلك فالمسألة بيننا هى رأى زكى مبارك فى القرآن لا دليل زكى مبارك على ذلك الرأى . فإذا كانت الرقابة تمنعه من الجدال عن رأيه بالدليل فذلك شهادة منه ومن الرقابة أن رأيه ليس مما يجوز عنه الدفاع ، كما لا يجوز الدفاع مثلاً عن رأى زاعم لو زعم أن مصر لا يحق لها الاستقلال

إن هذا النبى الأحمق لا يستطيع أن يفهم أنه ينال من نفسه أكبر النيل بدفاعه عنها هذا الدفاع . إنه كالغريق فى الحمأة لا تزيده جهاده للخلاص منها إلا غوصاً فيها حتى يلتئم سطحها فوق رأسه ، وكان خيراً له ألا يقربها ، فإذ قد قاربها فقد كان أنجى له ألا يتورط فيها

ومحاولة الرجل الخلاص بالكذب أو بالمكابرة أو بالمغالطة والمهاترة لا تنفع ولا تجدى . فليس ينفعه مثلاً أن يلجأ إلى حيلته القديمة التى نبهنا إليها فى التمهيد ، فيسمى الأشياء بغير أسمائها أو بضد أسمائها ، كما يفعل من تسمية العلم جهلاً والجهل علماً ، أو الإسلام إلحاداً والإلحاد إسلاماً وإيماناً . فهذه الحيلة التى قد تجوز على الناس عند انبهام الأمر ، لا يمكن أن تجوز على أحد فى البسائط الواضحة والبديهيات المسلمة

وموضوع الخصومة بيننا وبين هذا الأفاك هو فى دائرة البسيط البديهى ؛ دائرة المسلَّم المعروف من الدين بالضرورة ؛ دائرة الأمور التى هى فصل بين الإسلام وغير الإسلام ، بين المسلم وغير المسلم : دائرة إعجاز القرآن ، وأن القرآن كلام الله لا كلام البشر ، وأن الأنبياء والرسل ليس لهم من الدين إلا تبليغه ، وأن وحى الله إليهم ليس كهذا الذى يسميه الشعراء والمفكرون إلهاماً . هذه الأصول المسلَّمة عند المسلمين كافة ، المعلومة من الدين بالضرورة هى موضوع الكلام بيننا وبين زكى مبارك ، وموضوع الخصومة . وهو ينكرها ويكابر فيزعم أننا نفترى عليه الإلحاد

المسلمون كافة يقولون إن القرآن معجز ، ويفهمون من إعجازه إعجاز الأسلوب قبل كل شىء ، وهو يقول إن القرآن غير معجز وإن أسلوبه أسلوب عادى يقدر عليه جميع الكاتبين . ثم يزعم أنه قد أقنع المثقفين بإعجاز القرآن !

إن إنكار إعجاز الأسلوب يستتبع حتماً إنكار إعجاز المعنى إلا فى المواطن التى يكون فيها المعنى من النبوءات التى تحققت بالفعل ، أو يكون من العلميات التى يحققها البحث العلمى على مر الزمان . فكثير مثلاً من قصص القرآن كان معروفاً ، إن لم يكن للعرب فللنصارى واليهود فى التوراة والإنجيل . ومن السهل على المكابر أن يدعى أن محمداً درس أو أن محمداً سمع . وقد قيل ذلك بالفعل . قالوا فيما حكى الله عنهم : « لو نشاء لقلنا مثل هذا ، إن هذا إلا أساطير الأولين » . حتى لو لم يكن القصص معروفاً لسهل على المكابر بعد معرفته أن

يدعى أنه كان غير مجهول ، بل لصعب جداً على غير المكابر أن يطمئن إلى أنه لم يكن معروفاً من قبل ، ولاستحال إثبات ذلك إثباتاً يرتفع معه كل شك ، إن لم يكن فى عصر النبى فنى ما بعد عصر النبى من العصور . فما الذى حال بين المنصفين من العرب فى زمن النبى صلوات الله عليه وبين مثل هذا الشك فى إعجاز القرآن وفى رسالة النبى ؟ إعجاز الأسلوب ! إعجاز الأسلوب حال بينهم وبين الشك

إن المعنى بعد أن صار معروفاً لهم كان يمكنهم التعبير عنه بالطبع ، ولكن لا بأسلوب القرآن ولا بشىء يشتبه بأسلوب القرآن . وهذا بعض وجه الحجة عليهم فى مثل قوله تعالى : « أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات ، وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين » . وسنعود فيما نستقبل من الكلمات إلى موقف صاحب الكتاب من هذه الآية بالذات كمثل ناطق بسوء فهمه وخلطه وإحالته حين يعرض للقرآن .

أما الآن فيكفى أن ننبه إلى أن التحدى فى الآية الكريمة بقوله تعالى (مثله) وفى غيرها من الآيات إنما هو تحد بالأسلوب قبل كل شىء ، لأنهم بعد أن سمعوا بعض السور وعرفوا معناها كانوا يستطيعون أن يزعموا أن المعنى ملك للجميع ، أخذوه هم كما أخذه محمد ، ويعبرون عن المعنى بأى أساليبهم يرون أنه يقوم لأسلوب القرآن . ولو فعلوا وكان ذلك ممكناً لسقط التحدى به إلى الأبد . لكنهم لم يفعلوا ولم يكونوا ليفعلوا ، لأنهم كانوا إزاء أسلوب لا يمكن تحديه ، لا كما يزعم هذا الأفاك الأحمق إنه أسلوب فى مقدور جميع الكاتبين

فالذى ينكر إعجاز الأسلوب مثل صاحب النثر الفنى يلزمه حتما أن ينكر إعجاز بعض القرآن على الأقل كالقصص القرآنى أو بعضه ، أسلوباً ومعنى ، لأنه يستحيل عليه وقد أنكر إعجاز الأسلوب القصصى أن يزعم أن القصص نفسه معجز بالمعنى أو بالروح ، كما يزعم أنه أقنع المثقفين بهذا النوع من الإعجاز فى القرآن . وإذا سقط التحدى بقصص القرآن سقط التحدى بسورة من مثل القرآن ، لأن كثيراً من قصص القرآن سور بأسرها ، أو فى قدر سورة من غير القصص ، وإذن يسقط التحدى بالقرآن بأسره ، لأن الله سبحانه حين تحدى عباده بسورة من مثل القرآن لم يقيدهم بأى قيد فى اختيار السورة . فلو اختاروها سورة قصص ، أو جاءوا بقصص فى قدر سورة ولو قصيرة من غير القصص ، وكان ما جاءوا به يلتبس بالقرآن من حيث الأسلوب ، لكانوا قد كسروا التحدى وبطلت معجزة القرآن بين العرب ، فضلاً عمن جاء بعدهم ممن ليس له بصرهم بالفصاحة والبيان

فانظر فى هذا وتأمله جيداً وحكم عقلك ومنطقك ما شئت ، تجد أن إنكار إعجاز الأسلوب يؤدى حتماً إلى إنكار الإعجاز كله فى القرآن كله ؛ فإذا تبين لك هذا فاحكم حكمك على صاحب النثر الفنى ، منكر إعجاز أسلوب القرآن ومدعى إقناع المثقفين بإعجاز القرآن من ناحية الروح !

إن الرجل يلعب ويلهو بالخطير العظيم من الحق ، ويكذب ويأفك على الناس وعلى الله رب الناس . لكن لا عجب فهو يخبرنا أنه لا يخاف الله إلا تأدباً ، فهو لا يستشعر خوفاً حقيقياً منه سبحانه . فماذا يمنعه من الكذب والافتراء على الله ؟

على أننا لم نفرغ بعد من هذا الأفاك

محمد أحمد الغمراوى

بضاعة القلم

للأستاذ توفيق حسن الشرتوني

لا جدال أن بضاعة القلم هي البضاعة التي تصدر خاماً من منجم الدماغ الإنساني، وتتحول إلى مصنع الحافظة للقيام بمهمة فرزها وضروب حياكتها. وما مصنع الحافظة سوى مستودع يعج بمفردات اللغة وشواردها، ومسبك يصب ألفاظها وتعابيرها. والملهمون وحدهم يحسنون خلق هذه البضاعة وإبداع نسجها، لأنها بضاعة فريدة صعبة المراس، تقدر بالجودة لا بالكثرة.

فكم فص من الماس لا يساويه ألف فص، وكم قلادة من قلائد اليراع لا يعدلها ألف قلادة. فالثرثرة إذاً ليست أدباً، وحوشى اللفظ ليس بياناً، وانتحال أفكار الغير لا يعدّ نتاجاً، واجترار أقوالهم لا يعتبر فناً. إنما الأدب والبيان والفن نتاج يرتكز على دعائم الابتكار في المعنى، والبلاغة في المبنى، والجزالة في الأسلوب، والإيجاز في التعبير.

أما الابتكار في المعنى وهو بيت القصيد، فلا يبدعه غير الموهوبين. والموهوبون أنفسهم لا ينتجونه طريفاً إذا لم يستثمروا مناجم أدمغتهم، ويبرزوا في أعماق تلافيفها ومطاوى أغوارها معاول تفكيرهم ومهاميز جهادهم ليكشفوا عن مستغلق أرواحهم، وعن كل ما تلبد في مستودع أذهانهم، وتستر في مكنون طباعهم وخفايا غرائزهم. وأدباء العربية أحوج الأمم في هذا العصر إلى استغلال مناجم أدمغتهم. فهي ما تزال بكراً لم يستثمر منها غير اليسير الذي لا يروى غلة ولا يبل ظماً.

ومن العار أن تظل حياتنا الأدبية والعلمية مقصورة على معارف الجدود، أو مستمدة من نتاج أدمغة الغربيين نأخذ منهم ولا نعطيهم، ونتمتع بمستحدثاتهم العلمية وروائعهم الأدبية والفنية، ولا نبادلهم علماً يستحق الذكر، أو أدباً جديراً بالتقدير، أو فناً خليقاً بالإعجاب.

إن العاجز يمثل دور الطفيلي ويعيش عيّالاً على غيره. أما نحن فلسنا بالعاجزين. نحن أبناء أمة عريقة، لنا من ماضيها الزاخر بغرر الفكر، ومن تاريخها الحافل بجليل المآثر، ما يؤهلنا لمماشاة أرقى الأمم حضارة وعلماً، وما يذكي فينا روح المساهمة الواجبة علينا إزاء العالم، في حلبة الإبداع والتجدد.

وليس يعوزنا غير التضلع في العلوم والفنون والصناعات، والاطلاع على طارفها وتالدها، والتعمق في درسها وتمحيصها لاستجلاء كنوزها. ثم التمرن على إشغال الذهن ومواصلة التفكير لبعث ملكة الاستنباط الراقدة في حنايا أدمغتنا البكر، وهذا كله في متناول أيدينا. فجامعاتنا ومدارسنا ومكتباتنا كلها تزخر بمختلف المعارف الإنسانية، ينهل منها الطالب ما يشاء، ويثقف نفسه ما شاء لها من التثقيف.

ولكن هل من السهل إجهاد الذهن لاستخراج ما فيه من الدرر واللآلئ؟ إنه لعمرى إجهاد عنيف لا يضاهيه إجهاد الغواص لاستخراج لآلئ البحر، يتطلب علماً وجلداً وخبرة في الحياة، ويستدعى جهداً خارقاً في التفكير، ورهفاً دقيقاً في الملاحظة، وإنعاماً خالصاً في الروية، تتعاون كلها على بعث اليقظة في الحواشي والوعى في البصيرة. والحواشي المستيقظة والبصيرة الواعية مصراعا الدماغ، لا ينفذ إلى دخائله دونهما، ولا تستخرج درره الكامنة في أغواره إلا بهما.

فلا شيء في هذا الكون يجنى عفو الخاطر، بل بشق النفس وإجهاد الجسم والعقل.

فالعلم الذي نستوعبه بحول، هو نتاج كفاح الأجيال. والكتاب الذي نتصفحه بساعة هو نتيجة جهاد الأعوام.

والصناعات التي تتمتع بأدواتها المدهشة ، قد صرف مبدعوها العمر كله لإيجادها . والأدوية الناجعة التي نفزع إليها عند الحاجة ، ونتناولها ساعة نشاء ، قد بذل في سبيل تحضيرها واكتشافها دماء القلب وعصارة الروح

فارتقاء الإنسان إذاً مصدره التفكير . ولولا أعمال الفكر الشاقة ، لما كانت الحضارة ومستحدثاتها ولا العلم ونواميسه .
فكل جليل وجميل في الكون تمخض فكراً في الذهن قبل أن تجسم كتاباً ، أو تحول آلة أو تقمص فناً

فمن شاء الخلق والإبداع فليفكر . وألا يمل من التفكير . فمن لا يزرع لا يحصد ، ومن لا يواصل التفكير لا يخلق ولا يبدع

إن الجسم لا تقوى عضلاته بلا مواصلة العمل والرياضة ... هكذا الدماغ وهو خير ما في الجسم من عضل وخلايا لا تتفتح مواهبه الخالقة ، وتشتد قواه المبدعة إلا بقوة المران والتفكير المستمر . ولا يعزب عن البال أن الثقة بالنفس هي أساس الفكر ، فمن وثق بنفسه فكر بدماغه دون أن يتوكأ على أدمغة الآخرين . وما الإحجام والخمول والتواكل سوى قيود مرهقة للنفس . يتحتم علينا أن نتحرر منها ليتسع أفق تفكيرنا ونتاج عقولنا

أما البلاغة في المبنى فزينتها خلوها من الحشو والتكلف ، وبعدها عن الإبهام والتعقيد ، وحرصها على الوضوح والطلاوة وعجيئها عن محض الشعور والسجية . هكذا الأسلوب لا يعتبر جزلاً إلا إذا كان سهلاً ممتعاً ، مؤدياً المعنى بلغة صحيحة ، وعبارة رشيقة ، ولفظ متلائم

أما الإيجاز في التعبير ، فهو من أهم لزوميات هـذا العصر الخاطف ، الذي جعل الناس يتنقلون من قطر إلى قطر بسرعة تبز جوارح الطير ، ويرسلون أصواتهم وأفكارهم من قطب إلى قطب ، كما ترسل الصواعق

لقد مضى عهد المداورات والمترادفات ، وتصرم زمن الاستغراق في الكنايات والاستعارات ، وجاء العهد الذي يستدعي الكاتب النفاذ إلى لب الموضوع بسرعة توازي سرعة العصر الذي نعيش فيه

فالمعاني التي تستوعب بصفحة من خطل الرأي أن نعبر عنها بصفحات . والفكرة التي توضح بجملة من الخطأ أن نمدها في كثرة الجمل . فالكتاب الشائق في هذا العصر هو الكتاب السهل المأخذ ، الغني بروى البيان والفكر والتعبير الموجز

أما المطولات فقد تصرم عهدها وطوتها الرفوف

إلى أوثر اليوم أن تنسج بضاعة القلم على هذا النحو ، فلكل عصر بضاعة كما لكل عصر رجال .

(بيروت) توفيق حسن الشرتوني

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٥٧٤ — فقوته للمسلمين وفجوره على نفسه

فى السياسة الإلـهية لابن تيمية :

سئل الإمام أحمد عن الرجلين يكونان أميرين فى الغزو . أحدهما قوى فاجر والآخر صالح ضعيف مع أيهما يُغزى

فقال : أما الفاجر القوى فقوته للمسلمين ، وفجوره على نفسه . وأما الصالح الضعيف فصلاحه لنفسه ، وضعفه على المسلمين . يُغزَى مع القوى الفاجر

٥٧٥ — قارىء عجيب

فى (الحوادث الجامعة فى المئة السابعة) لابن الفوطى :

فى سنة (٦٣٧) توفى الشيخ على بن حازم القارىء المعروف بالأبله ، كان آية فى حفظ القرآن المجيد ، وتجويد قراءته ، يقرأ كل سورة شاء معكوسة ، واختبر له مرة على سبيل الامتحان سورة (الرحمن والقمر والجن) فقرأ ثلاث السور معكوسة دفعة واحدة من كل سورة آية ، وكان يقرأ من كل سورة شاء آية من أولها وآية من آخرها ويختمها فى وسطها . ومع هـذا كله كان عنده بله ، وميل إلى اللعب مع الصغار والتشبه فى أفعالهم مع علو سنه

٥٧٦ — يأكل ليعيش لا يعيش ليأكل

فى (رسائل أبو بكر الخوارزمى) : حق على العاقل أن يأكل ليعيش ، لا يعيش ليأكل ، وكفى بالمرء عاراً أن يكون صريع مأكله . وقتيل أنامله ، وأن يجنى بعضه على كله ، ويعين فرعه على أصـــله ، فـكم من لقمة أتلفت نفس حر ، وكم من أكلة منعت أكلات دهر[1] ، وكم من حلاوة تحتها مرارة الموت ، وكم من عذوبة خلفها بشاعة الفوت . ومن غلبت شهوته على رأيه شهد على نفسه بالبهيمية وانخلع عن ربقة الإنسانية

٥٧٧ — لم يكن من يجور

« المحاسن والمساوى » لابراهيم بن محمد البيهقى :

لولا من يقبل الجور لم يكن من يجور

٥٧٨ — لا تحسن أن تقول كقوله

فى « الصبح المنبى » : حكى صاحب المفاوضة قال : كان سيف الدولة يميل إلى أبى العباس النامى الشاعر ميلاً شديداً إلى أن جاء المتنبى فمال عنه إليه ، فغاظ ذلك أبا العباس ، فلما كان ذات يوم خلا به وعاتبه وقال :

الأمير لمَ يفضل علىّ المتنبى ؟ فأمسك سيف الدولة عن جوابه فالحّ وألحّ وطالبه بالجواب ، فقال : لأنك لا تحسن أن تقول :

يعود من كل فتح غير مفتخر
وقد أغذ إليـــه غير محتفل[2]

---

(١) فى رسالة الصاحب بن عباد فى الطب : قال الحكيم الأول بقراط فى البدن السقيم : إنك متى ما زدته غذاء زدته شراً

(٢) أغذ : أسرع فى السير ، ومراد المتنبى مطلق السير لا كما فسر الواحدى ، والبيت فى قصيدة مطلعها :

أعلى الممالك ما يبنى على الأسل   والطعن عند محبيهن كالقبل

الضمير فى (محبيهن) يرجع إلى الممالك أو إلى الأسل لا كقول العكبرى : كان الوجه أن يقول عند محبيه ، لأن الطعن مصدر طعن إلا أنه جعله جمع طعنة

ملحمة السراب ...!

القسم الثاني

للدكتور ابراهيم ناجي

ما بقائى وأجل العمر ولّى وانتظارى حتى يحين الشتاء
نعست حِقبة تغير وجه الـكون فيها وحالتِ الأشياء
يطلع الفجر مرهَقاً شاحب النو ر عليه الكلال والإعياء
وأرى الصبح فى المشارق يحبو ما به نضرةٌ ولا لألاء
قد علا طلعةَ النهار شحوبٌ واصفرار واعتلّت الأضواء
وبنفسى دب المساء وحلّ الليـل من قبل أن يحين المساء
عُدتنى كالربيع فى موكب الزهـر له روعة وفيه رُواء
ولك الوجه أومض السحر فيه والتقى الحسن عنده والذكاء
وشحوب كظل راحٍ وللنّد مان تجلو شحوبها الصهباء
ولك الكرم ذو العناقيد رفّت وتهادت فروعه الملساء
ولك الجيد أتلعاً أودع الصا نع فيه من قدرة ما يشاء
قُدّ من مرمر وشعشعه الفجـ ر بورد وصُب فيه الضياء
ولك المقلة التى يشرئب السهـم من لحظها ويخفى الحياء
ولك اللفظة التى تبعث الها مد حيًّا كأنها كهرباء
وأنا الطائر الذى تصطبى نفـسى السموات والذرا الشماء
راشنى صائدٌ رمانى فأدمانى وولّى الجانى وعاش الداء
كلما مرت الليالى يزيد الجرح غـوراً والطعنة النجلاء
طُويتْ رحلتى وودعتُ أحـ
لامى فنفسى من الأمانى براء
كثرت حَيْرتى وزادت تباريحى
وشكى وما لحزنى انتهاء
مرحباً بالهوى الكبير فإن يبـ ق وإن تسلى يطب لنفسى البقاء
فهو القمة التى تهزم المو ت ولا يرتقى إليها الفناء

ابراهيم ناجى

مزامير!

للأستاذ محمود حسن اسماعيل

ليتنى كنتُ صلاةً فى كهوف الناسكينا
أتلاشى فى طريق الـلـه شوقاً وحنينا ...

ليتنى كنت غناءً تائهاً فوق الصحارى
هزّنى طيرٌ غريبٌ فوق رُكبان حيارَى

ليتنى كنت شعاعاً فى ليالى الحائرينا
أسكب السُّلوان للدمـع وأغتال الأنينا ...

ليتنى كنت سكوناً خاشعاً بين الجبال
تتلاقى بِىَ آيا تُ وجودى بالزوال

ليتنى كنت غداً لا تعلم الأقدار سرّهْ
أو نشيداً ضنّ شادى الغيب أن يعزف نبره

ليتنى كنتُ على لُجّ (م) البحار الخضر زورقْ
كيفما شاءت بى الريح (م) على الأمواج تخفِقْ

ليتنى كنت حفيف الـغاب فى آذان بيدِ
يسمع الليلُ صبابا تى ويُصغى لنشيدى

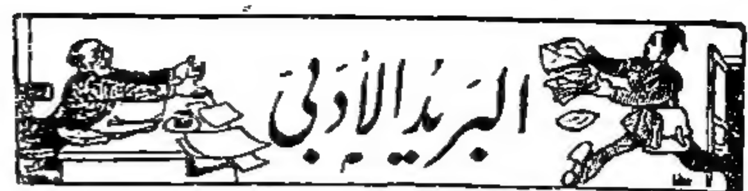
ليتنى كنت صفير الحـب من ناىِ الرُّعاةِ
تشرب الوديان والقطـان خمراً من لهاتى

ليتنى كنت عصاً فى كف أعمى لا يراها
هى تهديه ولكن مَن إلى النور هداها!

ليتنى كنت غراماً بين جنبَيْ عاشقَيْنْ
تمّ ما إنشادَ نيرا نى ... فظلا خاشعَيْنْ

ليتنى كنت رياحاً تهتفُ الآبادُ منها
أنا أهواها ... ولكن رغم أنى لم أكُنْها

محمود حسن اسماعيل



الوجود المادي

١ — أشكر عظيم الشكر لحضرة اللوذعي الفضال الأستاذ دريني خشبة تفضله عليّ « بالفاضلية والمحبوبية » وهو بهما أجدر مني وأليق

٢ — أرجو من حضرته ألاّ يزجني في معركة وحدة الوجود لأني لا أصلح جندياً فيها . وما تعرّضتُ لها في العدد السابق من الرسالة إلا لأنني كنت أود حقيقة أن أعلم ماذا يراد بوحدة الوجود

٣ — أرجو من الأستاذ دريني أن يراجع ما قلته في مقالي السابق لكي يتحقق جيداً أني لم أقل إن مقاله الثالث زاد النظارية غموضاً . بل قلت بكل وضوح وصراحة لا تقبل التأويل ، إن ما سرده من نظريات فلاسفة اليونان زاده غموضاً لأنها سلاسل سخافات كنشوء الكون من الرطوبة الخ . فهي لا تستحق أن يُستشهد بها ولا يستفاد منها شيء لتعريف وحدة الوجود . لذلك أرجو منه أن يصحح عبارته لكيلا يفهم القراء أني نسبت إليه قولاً لم يقله

٤ — فهمت من كلمة « الوجود » الكون المادي ، لأن ما استشهد حضرته به من أقوال فلاسفة اليونان يدل دلالة صريحة على أن هؤلاء الفلاسفة عنوا بالوجود أصله المادي لا غير . كذا فهمت . وهو واضح من قول « إذا كان المراد بوحدة الوجود أن الكون كله من ذرات وأجسام نشأ من هيولى واحدة الخ . فهو ما أثبته العلم الحديث الخ » . فمن الوجود المادي تكلمت ، وهو الذي عنيت ، وطبيعته قصدت . ولذلك لا أسلم بهيولى أخرى غير هيولاه ما دمت لا أحس بهيولى أخرى . ففي عقيدتي أن كل ما أحس به بإحدى حواسي هو من طبيعة هذا الوجود الهيولي ولا غيره . وما وراء الطبيعة لا أحس به إذن فليس هو من الوجود المادي . ولذلك قلت إنه لا شيء وراء الطبيعة المادية . أما إذا كان وراء الطبيعة شيء آخر وهو الروح فهو وجود غير مادي ، غير طبيعي . ولذلك تنصلت من التعرض له

٥ — أما قول أستاذنا الفاضل دريني إن القضية قضية إسلامية فأقول بشأنه أني لم أنازع في هذه القضية ولن أنازع على الرغم من أن قضية نسبة الوجود إلى الله (رب العالمين) ليست إسلامية بحتة بل هي قضية عالية ولا تحتكرها أية أمة دون أخرى . على أني لا أتعرض لها بأي حال

٦ — وهو موضوع خرج من دائرة تصدي فيما كتبت وإنما استدرجني إليه أستاذنا دريني بقوله أخيراً : ما رأي الأستاذ نقولا الحداد في هذه الفلسفة التي لا تعترف بالعالم أو الطبيعة الخ . رأيي أني لا أستطيع أن أعتقد بأن ما أحس به بحواسي الخمس هو وهم كما حاول الفلاسفة التصوريون Idealists أن يقنعونا وكبيرهم الفيلسوف بركلي Berkeley في أواخر القرن السادس عشر على الرغم من مقدرته المنطقية في الإقناع . إن حواسي بنات أفعال المادة في جسدي فلا أقدر أن أكذبها أو أقول إنها تخدعني . وهذا موضوع عويص جداً أتهيب أن أتصدى له .

نقولا الحداد

الجائزة الأدبية

كنت في مجلس ضم عشرة من الأدباء ، فيهم ثلاثة من الأقطاب ، أي إذا ذكر الأدب في مصر أو في العالم العربي كان هؤلاء من المتقدمين

جرى الحديث في قصيدة بشر فارس والجائزة الأدبية التي لم يفز بها واحد من الأدباء ، فحمل واحد من هؤلاء الأقطاب (ولا أسميه الآن) على شعر بشر فارس حملة تؤيد الغرض الذي رميت إليه في وضع الجائزة ، وتؤيد أيضاً رأي الأستاذ الجليل (ا . ع) في أنها غير مفهومة لا يمكن شرحها ولا معرفة غرض ناظمها

ثم بلغني من رجل صادق الرواية ، أن ذلك الأديب القطب الكبير قال للشاعر بشر فارس ، إن قصيدته وعنوانها : « إلى زائرة[1] » واضحة مفهومة ، وأنه شرح لي ستة أبيات من ثمانية أبيات هي كل القصيدة ففهمتها ، وقال أيضاً إن العيب ليس في شعر بشر فارس بل المرض في فهم من لا يفهمون هذا الضرب من الشعر ولا يفطنون إلى بدائعه !

لا يسمني ، وقد بلغتني الرواية كما وقعت ، إلا مطالبة الأستاذ الأديب القطب الكبير ببعث شرح الأبيات الستة التي قال إنه شرحها لي ففهمتها ، إلى الرسالة ليعرض على القراء ، وإني أنقده أجراً على ذلك عشرة جنيهات لا خمسة .

حبيب الزحلاوي

(١) انظر الرسالة عدد ٥٦٨

حول وحدة الوجود أيضاً

علمتنا الفلسفة أن الباطل لا يصير حقاً بكثرة منتحليه ، والحق لا يستحيل باطلاً بقلة معتقديه . فلئن كثر الناقمون على وحدة الوجود من كُتاب « الرسالة » وقرائها ، إلا أن هـذا لن يصرفنا عن تبرئة أصحاب هذه المقالة مما ينسب إليهم . فأما القول بأن وحدة الوجود تدعو إلى التدهور الأخلاقي والتحلل من الآداب ، فهذا قول باطل مردود ، وليس أدل على فساد هذا الحكم من أن ابن عربي نفسه — وهو إمام أصحاب هذا المذهب — كان « يفرّق بين الظاهر والمظاهر فيقر الأمر والنهي والشرائع على ما هي عليه ، ويأمر بالسلوك بكثير مما أمر به المشايخ من الأخلاق والعبادات » ، كما شهد بذلك ابن تيمية نفسه[1] . وأما القول بأن عبارة ابن عربي القائلة بأن العالم ما له وجود حقيقي (وهي تلك العبارة التي جعل منها الأستاذ دريني خشبة محوراً لرده ، واتخذها ذريعة للسخرية من الفلسفة) عبارة فاسدة تنبو عن العقل ، وتند عن المنطق ، فهذا قول مرفوض منقوض ، لأن ابن عربي لا يعني بالوجود هنا ، ذلك الوجود الحسن الملموس ، بل يعني الوجود الحقيقي الذي لا يتطاول إليه الوهم ، ولا يرقى إليه العقل الإنساني القاصر . فكل ما تدل عليه هذه العبارة ، هو أن وجود المحدثات المخلوقات ليس بوجود حقيقي ، لأنه وجود عارض يلحقه التغير ، ويتوقف على وجود غيره ؛ في حين أن وجود الله الذي لا يثبت كونه إلا بعينه ، وجود واجب لا يعرض له التغير والإمكان ، ولا تلحقه الإضافة والتقييد بحال[1]

أما تلك الأحكام السريعة المبتسرة التي يطلقها البعض على مذهب فلسفي عميق كمذهب وحدة الوجود ، من غير تثبت أو تحقيق ، ومن دون بحث أو تدقيق ؛ فهذا ما لا نُعنّي أنفسنا بالرجوع إليه وإدامة النظر فيه ـ وحسبنا أن نقرر هنا ما لمذهب وحدة الوجود من نزعة واحدية تتفق مع اتجاه العلم الحديث (وهو ما أظهرنا عليه أرنست هيكل عند حديثه عن هذا المذهب في كتابه « لغز الكون ») ، وما ينطوي عليه هذا المذهب من تنزيه بالغ استحال معه العالم إلى موجود متوهم ما له وجود حقيقي وأصبح الله وحده هو الموجود !

هذه كلمة ثانية أكتبها دفعاً لكل شبهة ، ولن أردفها بأخرى مهما بدا للأستاذ الفاضل دريني خشبة أن يقول . فإن مثل هذه المسائل المعقدة قد لا تحتملها أعصاب القرّاء الفائرة في هذا القيظ !

زكريا ابراهيم

(١) « مجموعة الرسائل والمسائل » لابن تيمية ، الجزء الأول ، الرسالة السابعة ، ص ١٧٦

(١) « فصوص الحكم » لابن عربي ، الفص اليوسفي . والفتوحات ج ١ ، ص ٨٨٣ ، ٨٨٤